اتجاهات التوظيف النحوي ومناهج النُحاة في سورة البقرة حتى نهاية القرن الرابع الهجري

الكلمات المفتاحية: اتجاه التوظيف، النحوي، سورة البقرة

البحث مستل من أطروحة دكتوراه

آية إحسان صادق أ. د. حسين إبراهيم مبارك

جامعة ديالى/ كلية التربية للعلوم الانسانية

aya291992@gmail.com dr.hussain.almubark@gmail.com

الملخص

لا شكّ أنّ الغرض الرئيس من ضبط قواعد اللغة العربية وبيان أصولها هو خدمة القرآن الكريم، وصيانته من اللحن، وبدأ التأليف في اللغة مبكرًا، وذلك منذ أن دخل الأعاجم في الاسلام، وبدأ اللحن بالظهور على ألسنتهم، فهرع العلماء إلى البادية لجمع ما صحّ من لسان العرب وتدوينه في معجمات جامعة للغة، ومن العلماء من عُني بضبط تراكيب العربية، وجمع تراكيبها واستعمالاتها في مدونات ظلت إلى الآن الركيزة الاولى التي اعتمد عليها طلاب العربية في ضبط أصول العربية وقواعدها.

ولما كان حماية القرآن الكريم من اللحن الغرض الأساس (كما أسلفنا)، فقد انقسم العلماء في التأليف في التراكيب النحوية إلى أربعة اتجاهات: الاتجاه الأول: اتخذ من القرآن الكريم الدليل الأول في استنباط القاعدة النحوية، الثاني: ركّز على وجوه معاني القرآن وبيان ما تحمله اللفظة من وجوه إعرابية، والثالث: فسّر القرآن آية آية، وفصّل في كلّ ما تحتويه الآية من أحكام لغوية ونحوية، وقراءات، ووجوه إعراب، والرابع: عُني أصحابه بتوجيه القراءات القرآنية المتواترة والشاذة توجيهًا يتّفق مع ما وضعه النحاة من أصول وقواعد، ولا شكّ أنّ سورة البقرة أكثر سور القرآن التي أولاها أصحاب هذه الاتجاهات عناية فائقة، لكونها أطول سور القرآن، فإنّ النُحاة والمفسّرين يودعون جُلّ خبراتهم النحوية، ويؤصّلون عليها القواعد النحوية، ثمّ لا يكررون ما اوردوه فيها من قواعد في السور الأخرى، والله الموفق.

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

فإنّ النُحاة أودعوا عصارة فكرهم في تفسير سورة البقرة، فذكروا كثيرًا من المباحث النحوية عند تفسيرها، لذلك فإنّ المسألة النحوية إنْ تكررت في السور الأخرى، فقد كانوا لا يكررون شرحها، وإنّما ينبّهون على أنّ بيانها قد مضى في سورة البقرة، ممّا يدل على المنزلة اللغوية والنحوية التي تبوّأتها هذه السورة، في بيان المعاني اللغوية، والأوجه الإعرابية التي اشتملت عليها، ويمكن تلخيص مظاهر العناية بسورة البقرة لدى النحاة في أربعة اتجاهات: (كتب النحو الخالص، وكتب المعاني والإعراب، وكتب التفاسير، وكتب القراءات).

ولسعة الموضوع فسأقتصر على دراسة اتجاهين من الاتجاهات الاربعة في التأليف النحوي حول سورة البقرة، وهما:

- كتب النحو الخالص.
- كتب المعاني والإعراب.

أولًا: كُتب النحو الخالص:

إنّ الدراسات اللُغويّة العربية قامت على أصول عريقة وضعها النُحاة الاوائل، وهذهِ الأصول يجب أن تقوم على أدلّة، وهذه الادلّة تُسمّى بـ (الشواهد النحويّة)، فهي ذخيرة لغويّة ثمينة، لها أهميّتها اللغويّة، والأدبيّة، والفكريّة، والحضاريّة[١].

ويُعدُّ القرآن الكريم من أهمّ الشواهد التي استدلّ بها النُحاة في تقعيد القواعد، وتدوين الأصول، وهم متّفقون عليها، إلّا أنّهم اختلفوا في الأخذ بالقراءات القرآنيّة[٢].

وأوردوا الشاهد القرآني بما يُؤيّد قواعدهم وأحكامهم، ولأهمّية هذا الشاهد المعجز، فقد أكثر سيبويه من الاستدلال به في كتابه، واستدلّ بآيات السورة المباركة في (ثلاثة وثلاثين) موضعًا من كتابه، واحتجّ بها المُبرّد في (خمسةٍ وعشرين) موضعًا من مقتضبه، واستدلّ ابن السراج بآياتها في (أربعة عشر) موضعًا في أصوله، وأكثر من الاستدلال بآياتها ابن جنّي في مصنّفاته.

وهكذا سار النُحاة على الاستدلال بالقرآن الكريم بشكل عام، وسورة البقرة بشكل خاص حتّى يومنا هذا، في إثبات القاعدة النحوية وتقريرها.

وقد تعدّدت طرائقهم في الاستدلال بآيات السورة المباركة، وسلكوا مذاهب شتّى، منها:

أ. **المفاضلة بين أوجه الفصيح من الكلام:-**

فيختارون الوجه الذي ورد فيه القرآن الكريم، فالعطف عندهم من غير فاصل قبيح، من مثل قولهم: اذهبْ وعبد الله، والفصل بالضمير هو الوجه الحسن[٣]، لوروده في قوله تعالى: ﴿أُسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [سورة البقرة: من الآية: ٣٥].

ب. **إيراد الشاهد القرآني لبيان لغة من لغات العرب:**

فذكروا انّ بني تميم يرفعون فيقولون: أما العلم فعالَمٌ، كأنّهم قالوا: فأنا أو فهو عالمٌ به، وكان إضمار هذا احسن عندهم من أنْ يدخلوا فيه حالًا، كما قال الله (سبحانه وتعالى): ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَ تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ [سورة البقرة: من الآية: ٣٥]، أضمر فيه[٤].

ج. **أثر الاتساع في الدلالة القرآنية في تعدد الأوجه الإعرابية:-**

ضمن ما يُعرف بـ (سعة الدلالة): فذكر ابن جِنّي أنّ ﴿يَسُوْمُونَكُم﴾ من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فَرْعَوْنَ يَسُوْمُونَكُم سُوءَ العَذَابِ يذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُم وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُم وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُم عَظِيْمٌ﴾ [سورة البقرة: من الآية: ٤٩]، فيها ثلاثة أوجه:

١. أن تكون في موضع (حال) من ﴿آلِ فَرْعَوْنَ﴾، وعلى هذا يكون المعنى: نجّيناكم منهم، وهم في حال سومِكم العذاب.

٢. أن تكون ﴿يَسُوْمُونَكُم﴾ حالًا من الضمير المنفصل (لكم) في قوله تعالى: ﴿نَجَّيْنَاكُم﴾، والمعنى على ذلك: نجّيناكم في حال سومكم.

٣. أن تكون ﴿يَسُوْمُونَكُم﴾ حالًا من جميع ذلك، والمعنى: نجّيناكم في حال سومكم[٥].

د. الاستدلال بآياتها على إثبات القاعدة النحوية:-

من ذلك استدلالهم بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ [سورة البقرة: من الآية :٦٥]، شاهدا على أنّ (علِمَ) بمعنى (عرف)[٦].

هـ. التنبيه على معايير الفصيح من الكلام:-

كاستدلالهم على كثرة دخول الهمزة على (فاء العطف) أو (واوه)[٧]، وحجّتهم قوله تعالى:﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [سورة البقرة: من الآية: ٨٧] وقوله تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة البقرة: الآية: ١٠٠].

و. تعدد الأوجه الإعرابية:-

كثيرًا ما يذكرون الأوجه المحتملة في إعراب اللفظة، مع تفضيلهم وجهًا على آخر: كما ذكر المُبرّد أنّ قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة البقرة: من الآية: ١٠٢].

الواقع بعد جملة جواب الشرط، جاز فيه ثلاثة أوجهٍ: الرفع، والنصب، والجزم، وفضّل الجزم وجعله الوجه الأجود، ثمّ الرفع، ثمّ النصب، وراح يبيّن المعنى الذي يترتّب عليه كلّ وجهٍ إعرابي[٨].

ز. القياس على الشاهد القرآني:-

مثاله ما ذكروه من تأويل (أن) والفعل بالمصدر الصريح، في نحو: أنْ تأتِني خَيْرٌ لكَ، كأنّك قلت: الإتيانُ خيرٌ لك. وأوجبوا القياس على هذه القاعدة لإفرادها، وحملوا عليها قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [سورة البقرة: من الآية:١٨٤]، أي: صيامكم خيرٌ لكم[٩].

ح. حمل كلام العرب على ما ورد في الشاهد القرآني:-

ذكروا في باب الممنوع من الصرف، أنّك لو سميتَ امرأة بـ (مسلمات أو ضربات): هذا ضربات كما ترى، مسلمات كما ترى، وكذلك امرأة لو سمّيتها بهذا انصرفت، ذلك أنّ (التاء) لمّا صارت في النصب والجر، أشبهت عندهم (الياء) التي في (المسلمين)، والياء التي في (رجلين)، وصار التنوين بمنزلة النون، وحملوا عليها صرف (عرفات)، في قوله تعالى:﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ [سورة البقرة: من الآية: ١٩٨]، وحجّتهم أنّ العرب تقول: هذه عرفاتٌ مُباركةٌ(١٠).

ط. إيراد الشاهد القرآني توضيحًا لِما وضعوه من قواعد:-

فقد قرّروا أنّ من المصادر ما يقع موضع الحال، فيسدّ مسدّه، فيكون حالًا؛ لأنّه قد ناب عن اسم الفاعل، كما في قولهم: قَتَلَهُ صَبرًا. إنّما تأويله: صابِرًا أو مصبرًا، وقولهم: جِئْتُهُ مَشْيًا، لأنّ المعنى: جئْتُهُ ماشيًا، فالتقدير: أمشي مشيًا، والمصدر قد دلّ على فعله من تلك الحال، ولو قلت: جِئْتُهُ إعطاءً، لم يجُز، لأنّ الإعطاء ليس من المجيء، ولكن: جِئْتُهُ سَعيًا(١١)، وهذه القاعدة النحوية تتجلّى في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ [سورة البقرة: من الآية: ٢٦٠].

إلى غير ذلك من مظاهر الاستدلال بآيات السورة المباركة على إثبات القواعد النحوية، فقد كانت تراكيبها وألفاظها من مُنطلقات التأصيل النحوي، ونظرًا لمكانتها في الاستدلال النحوي، فقد خصّها الباحثون بدراسات مستقلّة منها: دراسة الباحث **(يحيى صالح البركاتي)** الموسومة بـ **(الأوجه الإعرابية في سورة البقرة تعددًا وترجيحًا)**، ودراسة الباحثة **(سامية يونس خليل)** الموسومة بـ **(عوارض التركيب في سورة البقرة دراسة نحويّة وصفيّة)**، ودراسة الباحث **(جاسم غالي رومي)** الموسومة بـ **(الفاعل وأنواعه في آيات سورة البقرة)**، ودراسة الباحثة **(منى محمد عارف)** الموسومة بـ **(البناء اللغوي في سورتي البقرة والشعراء دراسة موازنة)**، ودراسة الباحث **(عبد الله هارون النور سعد)** الموسومة بـ **(دراسة المنصوبات في سورة البقرة دراسة وصفية استقرائية إحصائية)**، ودراسة الباحثة **(لطيفة عبد**

الرسول عبد) الموسومة بـ **(التوجيه النحوي للقراءات القرآنيّة في سورة البقرة)**، ودراسة الباحثة **(هديل عبد الحليم داود)**، الموسومة بـ **(مسوّغات التقديم والتأخير في سورة البقرة)**.

وغيرها كثير من الدراسات التي لا يتّسع المقام حصرها هنا، ممّا يُنبّئ عن الخصوصيّة التي انمازت بها سورة البقرة، وأثرها في التقعيد النحوي.

ثانيًا: كتب المعاني والإعراب:

لا شكَّ أنّ هذه الاتّجاهات على اختلاف مشاربها، تصبّ في خدمة النص القرآني، من حيث استنباط القواعد، وتوضيح معانيه، وبيان الأوجه الإعرابية المحتملة له، وما يترتّب على كلِّ وجهٍ من معنى خاصّ أو عام، وكتب المعاني تبحث في النصّ القرآني من النواحي الإعرابية، والأسلوبيّة، واللغويّة بالتحليل والتوسع، وعدّها الباحثون اللبنة الأولى لتأسيس مرحلة التفسير الشامل للقرآن الكريم، وعلى أساسها بُنيت قواعد التفسير الجامعة.

فهذه الكتب أعني ـ كتب المعاني ـ انمازت بالإيجاز والاختصار، ولم يكن أصحابها معنيين بتفسير القرآن كاملًا، فإنّك تجد كثيرًا من الآيات ليس لها مكان من التفسير والتحليل في هذه الكتب، بل كانوا يقفون على ما يُسألون عنه، ممّا ظاهرهُ فيه إشكالات في الآيات التي يرون بها حاجة إلى التفسير والتأويل، فيبدأون بتفسير ألفاظ القرآن تفسيرًا لغويًا بيانيًا، فيذكرون معنى اللفظة في اللغة، واشتقاقتِها وتصاريفها، مؤيّدين هذا كلّه بالفصيح من كلام العرب، ثمّ يُعرِبُون ما ظاهرهُ يُوحي بالإشكال، حتّى كانت هذه الكتب المنطلق الأول في رسم معالم المنهج البياني اللغوي(١٢).

وأمّا كتب الإعراب فتُعدُّ فرعًا من فروع كتب المعاني، إنْ لم تكُنْ هي هي، فكثير منها ما كان يُبيّن ما تحمله اللفظة من أوجه، وما ينبثق عن كلّ وجهٍ من معنى جديد، والدلالة الإعرابية المترتّبة على كلّ وجهٍ هي مبدأهُ الأول والأساس(١٣).

ويمكن الحديث عن أهم مصادر هذا الاتّجاه بشكلٍ موجز على النحو الآتي:

أولًا: (معاني القرآن) لعليّ بن حمزة الكِسائي المتوفى سنة (١٨٩هـ):

أصل هذا الكتاب آراء وأقوال احتواها كتاب تلميذه الفرّاء، المعروف بـ (كتاب معاني القرآن)، جمعها الدكتور (عيسى شَحَاتة عيسى)، في كتابٍ مُستقلٍ سمّاه (معاني القرآن)، وكانت له قيمة عظيمة لِما انماز به من بيانٍ لمعاني ألفاظ القرآن في لغة العرب، وفي القراءات القرآنيّة، والقواعد النحويّة، وركز في كتابه هذا على إثبات أنّ القرآن مثَّلَ كلام العرب بما فيه من وجوه الإعراب، والغريب، والمعاني، وجارٍ على سُننهم في كلامهم(١٤).

وأبرز ملامح منهجه في الكتاب:

- **توجيه القراءة القرآنيّة، وبيان جواز الوجه الآخر الذي يُقرأ به، وتجويز الوجه الذي لم يُقرأ به:** ذكر انّ قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾[سورة البقرة: من الآية: ١٣٨]، منصوبة على الإغراء، ولو كان رفعًا لَجاز(١٥)، وله منهج انفرد به في العناية بالقراءات القرآنيّة، من حيث يبيّن معنى القراءة وتوجيهها النحوي، ولم يُؤثر عنه أنّه طعن بقراءة أو بقارئ، وكيف يكون ذلك وهو أحد القرّاء السبعة المشهورين، ولم تقتصر عنايته بالقراءات المتوترة فحسب، وإنّما كان يعتذر بالقراءات الشاذة مهما بلغ شذوذها، فبعد ما بيّن وجه القراءة في قوله تعالى: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِم إِذَا عَاهَدُوا وَالصَابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ [سورة البقرة: من الآية: ١٧٧]، ذكر انّ عبد الله بن مسعود (ﷺ) قرأها : (والموفين بعهد الله والصابرين)(١٦)، أي النصب في كلا الوضعين(١٧).
- **إثبات ما ورد في القرآن المجيد لا يخرج عمّا جاءت به العرب في كلامها:**

مثال ذلك أنّه لما بيّن معنى قوله تعالى: ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ﴾ [سورة البقرة: من الآية: ١٥٢]، ذكر أنّ العرب تقول: شكرتُ لكَ، ونصحتُ لك، ولا تقول: شكرتُكَ ونصحتُك. وقد نصح فلانٌ لِفُلان، وشكر له، هذا كلام العرب(١٨)، ومن مظاهر بيانه أنّ القرآن في تفسيره موافق لسُنن العرب في كلامها، ما ورد في تعليقه على قوله تعالى: ﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ﴾

[سورة البقرة: من الآية:٢١٤]. إنّ الفعل الماضي إذا تطاول صار بمنزلة المستقبل، وحجّتّه ما سمع عن العرب من أنّهم يُقولون: سِرنَا حتّى تَطلُعَ لنَا الشمس، فرفع الفعل للشمس، وأنشد[١٩]:

وَقَدْ خُضْنَ الهَجيرَ وعُمْنَ حتّى يفرّج ذاكَ عنهُنَّ المساء[٢٠].

والخلاصة أنّ الكتاب ضمّ بين دفّتيه ثروة لغويّة نحويّة كبيرة، فجاء سفرًا للقراءات القرآنيّة المتواترة والشاذّة، التي بيّن أصول القراءة فيها، ما تحتمله كلّ قراءة منها من أوجه، فضلًا عن أنّه ضمّ بين طيّاته كثيرًا من كلام العرب الفصيح الذي سمعه بنفسه من البادية، وفسّر به كلام الله، مع عنايته بالجوانب الدلاليّة، والصوتيّة، والصرفيّة.

ثانيًا: (معاني القرآن) لابي زكريّا، يحيى بن زياد الفرّاء (ت٢٠٧هـ):

يُعدّ هذا الكتاب موسوعة، إذ جمع فيه مؤلّفه كثيرًا من موضوعات الصوت والصرف، والنحو، واللغة، والبلاغة، فضلًا عن عنايته الفائقة بالقراءات القرآنيّة[٢١].

وتُعدّ المباحث النحويّة من أوسع المباحث التي اشتمل عليها لأهمّيتها في فهم القرآن الكريم، وتحليل تراكيبه[٢٢].

وقد تعدّدت طرائق منهجه في تفسير النص القرآني، ولا سيّما سورة البقرة على مشارب يضيق ذكرها، وسأوجز بعضها على النحو الآتي:

- **إيراد مصطلحات الكوفيين عند تفسير الآية:**

كثيرًا ما أورد مصطلحاتهم في مواضع من كتابه، عند بيان معاني آيات الذكر المجيد، من ذلك بيانه لمصطلح (الصرف) الحرفي فذكر أنّ : ((الصرف ان تأتي بالواو معطوفة على كلام في أوّله حادثة لا تستقيم إعادتها على ما عُطِفَ عليها، فإذا كان كذلك فهو الصرف))[٢٣]، وشاهده قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [سورة البقرة: من الآية:٤٢].

- **التنبيه على القاعدة النحوية:**

ذكـر في بيان ـ معنى قوله تعالى:﴿ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ [سورة البقرة: من الآية: ٨١] ـ : ((وقعت (بلى) لكلّ إقرار أوّله جَحد، ووضعت (لم) للاستفهام الذي لا جحد فيه، فـ (بلى) بمنزلة (نعم) إلّا أنّها لا تكون إلّا لِما في أوّله جحد))[٢٤].

- **إبراز العلّة النحويّة:**

عُني الفرّاء بالعلل ورافقها طيلة معانيه، من ذلك (عِلّة الكراهة)، قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنْ اشْتَرَاهُ﴾ [سورة البقرة: من الآية: ١٠٢]: ((مَن في موضع رفع وهي جزاء؛ لأنّ العرب إذا أحدثت على الجزاء هذه اللام صيّروا فعله على جهة (فعل)، ولا يكادون يجعلونه على (يفعل) كراهة أن تحدث على الجزاء حادث وهو مجزوم))[٢٥].

- **تنوّع طرق تفسير القرآن وبيان معناه عند العرب:**

فمن يتصفّح معانيه يجد أنّه كان كثيرًا ما يستدلّ على تفسير القرآن بالقرآن[٢٦]، والشواهد على ذلك كثيرة[٢٧]، فكان يُرجّح وجهًا إعرابيًا على آخر، وحجّته في ذلك أنّ هذه القراءة أو تلك تؤيّد صحّة ما ذهب إليه، قال ـ في بيان قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ [سورة البقرة: من الآية: ٢١٠] ـ : ((رُفع مردودًا على (الله) تبارك وتعالى، وقد خَفّف بعض أهل المدينة يريد: ((في ظلل من الغمام وفي الملائكة))[٢٨]، وبالرفع أجود؛ لأنّها في قراءة عبد الله : ((هل ينظرون إلّا أن يأتيهم الله والملائكة في ظلل من الغمام[٢٩]))[٣٠].

- **بيان الأوجه الإعرابية والمعنى الذي يترتب على كلّ وجه:**

من ذلك أنّه ذكر ـ في بيان معنى قوله تعالى: ﴿ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [سورة البقرة: من الآية: ٢٤٦] ـ : ((نُقاتِل مجزومة، لا يجوز رفعها، فإنْ قرئت بالياء (يُقاتل) جاز

رفعها وجزمها، فأمّا الجزم فعلى المجازاة بالأمر، وأمّا الرفع فأن يجعل (يُقاتل) صلة للملك، فإنّك قلت: اِبعث لنا الذي يُقاتل))[٣١].

فالظاهر من النصّ الشريف بقراءاته أنّه كان المنطلق عنده في تقرير القواعد النحوية وتأصيلها[٣٢].

وعلى الرغم من عنايته بالقراءات فكان لا يتردد في تفضيل قراءة على أخرى، إذ رآها أقوى حجّة في السماع أو القياس[٣٣].

والخلاصة أنّ الفرّاء كان أكثر ما يلجأ إليه في بيان تركيب معاني القرآن هو كلام العرب نظمًا أو نثرًا، وكان معانيه موسوعة، اشتملت على معجم لغوي دلالي، ضمّ بين دفّتيه أيضًا القراءات المتواترة والشاذّة، توجيها وتخريجًا، وكان يُمثّل عصارة المذهب الكوفي في النحو، وهو المصدر الأول لكلّ من ألّف في المعاني والإعراب والتفسير من الذين جاءوا بعده، فكان الفصيح من كلام العرب المنطلق عنده في بيان ما أشكل من غريب القرآن ومعانيه.

ثالثًا: (معاني القرآن) لأبي الحسن الأخفش (ت٢١٥هـ):

يُعدّ مؤلّفه أحد أساطين اللغة والنحو، وقد وُصِفَ بـ (سيّد أهل اللغة)، فقد تبوأ كتابه مكانة رفيعة بين أمّات الكتب، بعنايته بتفسير القرآن الكريم دلاليًا، وصرفيّا، ونحويًا، فهو كتابٌ حاز به الأخفش على فضل الريادة، وتأثّر به غيرُ واحدٍ من العُلماء[٣٤].

وخلاصة المنهج الذي اتّبعه الأخفش في مصنّفه:

- أنّه لم يُفسّر القرآن آية آية، وإنّما كان يتجاوز بعض الآيات لوضوح معناها، وهذا كثيرٌ في مصنّفه، وممّا يدلّ على غلبه الجانب اللغويّ والنحوي في الكتاب أنّ الأخفش قسّم تفسير سورة البقرة على شكل أبواب لغوية ونحوية، من باب (المجاز)[٣٥]، و(الدعاء)[٣٦]، و(الاستثناء)[٣٧]، و(الفاء)[٣٨]، و(اللام)[٣٩]، و(الإضافة)[٤٠]، و(المجازاة)[٤١]، و(الواو)[٤٢]، و(أهل وآل)[٤٣]، و(الفعل)[٤٤]، و(زيادة مِنْ)[٤٥]، و(إنَّ وأنَّ)[٤٦].

وفي كلّ باب يذكر ما ورد عليه من سورة البقرة.

- فذكر في باب (الاستثناء) أنّ (إبليس) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة: الآية: ٢/٣٤]، انتصب لأنك شغلت الفعل بهم عنه، فأخرجته من الفعل من بينهم(٤٧).
- وذكر في باب (**الفاء**) أنّها في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة: الآية: ٣٥]، أنّها وقعت فيما يُسمّيه النحويون (**جواب الفاء**)، وهو ما كان جوابًا للأمر، والنهي، والاستفهام، والتمنّي، والنفي(٤٨).
- وصاغ في باب (**الدعاء**) وهو ما يُعرف عند النحويين بـ (**النداء**) أن قاعدة نحوية مفادها أنّ الاسم المرتفع بعد (**يا**) يكون مضمومًا في الدعاء في موضع نصب، لكنّه جعل في الأسماء التي ليست بالمتمكّنة(٤٩)، ذكر ذلك عند بيان قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [سورة البقرة: الآية: ٣٥].

- ومن القواعد الكليّة التي ساقها في باب (**اللام**) عند تفسيره قوله تعالى: ﴿لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [سورة البقرة: الآية: ٧٩]، أنّ (**اللام**) تسمّى (**لام كي**)، وانتصب الفعل المضارع بعدها بـ (**أن**) مُضمرة(٥٠).
- وكان كسابقيه، كثير العناية بالقراءات القرآنيّة، فهي عنده موضع توجيه، وتأويل، وبيان، قال ـ في بيان قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ [سورة البقرة: من الآية: ٧٠] ـ : ((جعل (**البقر**) مذكرًا مثل (**التمر**) و(**البُسر**)(٥١)، وإنْ شئت قلت (**يَشّابَهُ**)، وهي قراءة مُجاهد(٥٢). ذكّر (**البقر**) يريد (**يَتَشَابَه**) ثمّ أدغم (**التاء**) في (**الشين**) ومن أنّث (**البقر**) قال (**تَشّابَه**) فأدغم، وإنْ شاء حذف (**التاء**) الآخرة ورفع، ...، لأنّها في (تتشَابَهُ) إحداهما تاء (**تفعَل**)، والأخرى التي في (**تَشابَهَتْ**) فهي في التأنيث معناه (**تَفْعَلُ**))).(٥٣)
- وكان منهجه في تفسير القرآن الكريم، يعتمد في الدرجة الأولى على تفسير القرآن بالقرآن، ثمّ على القراءات، ثمّ كلام العرب المنظوم أو المنثور لبيان معنى التركيب

القرآني، فذكر في إعراب **(الأمانيّ)** في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [سورة البقرة: الآية: ٧٨].

أنّ **(الأماني)** منصوبة؛ لأنّه مستثنى ليس من أول الكلام، وهذا الذي يجيء في معنى **(لكن)**، إنّما يُريد: **(لكن أماني)**، وعلى ورود **(إلّا)** بمعنى **(لكن)** احتج بقول الشاعر(٥٤):

وَكُـلُّ أَخٍ مُفَارِقُهُ أَخُـوْهُ لَعَمْرُ أَبِيْكَ إلّا الفَرْقَدانِ

معناه: لكن الفرقدان(٥٥).

وخلاصة القول في **(معاني الاخفش)** أنّ الغرض الرئيس من تأليفه كان تعليميًا، يدلّ على ذلك أنّه أكثر فيه من السؤال والجواب، بعبارات مثل (إنْ قِيْلَ كذا) فالجواب (كذا)(٥٦).

وهو كتاب لم يكن مقتصرًا على معاني القرآن ونحوه، وقراءاته فحسب، وإنّما تمثّلت فيه كثيرٌ من الجوانب الصرفيّة، والصوتية، والدلالية، والنحوية، فضلًا عن عنايته بلغات العرب من خلال الإشارة إلى الظواهر اللغوية، وكانت معايير السماع من القلّة، والكثرة، والشذوذ، والندور، أساسًا في تقويم الأحكام النحوية، وكان يخلط بين مصطلحات البصريين والكوفيين؛ لأنّه كان مدرسة نحويّة مستقلّة، كما هو معروف، وإنْ لم يُسعفه السماع في تقرير القاعدة النحوية يلتجأ إلى القياس، كان يقيس على الكثير الشائع من كلام العرب، وأكثر من ذكر العلل بأنواعها، فكان يلتجأ إليها في تقرير القاعدة النحوية ويبسطها، ولم يغفل الإشارة إلى الإجماع، فكان ينظر إليه بوصفه أصلًا تُبنى عليه القواعد، وكتابا الفرّاء والأخفش يُعدّان الركيزة الأولى للتفسير، إذ اعتمد عليهما المفسّرون، وأصحاب كتب الإعراب والمعاني فيما بعد، وبين المصدرين فروق كثيرة، فصّل القول فيها الباحث الدكتور **(نصيف جاسم محمد الخفاجي)**، فذكر أنّ: مصادرهما الثقافيّة تعددت في تأليف كتابيهما، بين السماع، والأخذ من العلماء، وإنْ كان الفرّاء تفوّق على الأخفش في الاستدلال بالشواهد القرآنيّة، واتّخذ أساليب متعددة في الاستدلال بالشاهد القرآني، إلّا أن المنهج الاساس الذي اتّفقا عليه هو أنّهما فصّلا القول فيما يبدو فيه إشكال لُغويّ، أو نحوي، من نصوص القرآن الكريم(٥٧).

رابعًا: (معاني القرآن وإعرابه) لأبي اسحاق، إبراهيم الزجّاج (ت٣١١هـ):

يُعدّ من كتب التفسير اللغويّ، ووضعه مُصنّفه لبيان إعراب القرآن ومعانيه بشكلٍ مختصر(٥٨)، ولم يكن هذا الكتاب مقتصرًا على الإيجاز في إعراب القرآن ومعانيه، وإنّما راح يُفسّر بعض ما يراه مشكلًا في آي الذكر الحكيم، وقد نصّ على ذلك في معانيه بقوله: ((وإنّما نذكر مع الإعراب المعنى والتفسير؛ لأنّ كتاب الله ينبغي أن يتبيّن، ألا ترى أنّ الله يقول: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [سورة النساء: من الآية: ٨٢]، (فَحَضَضْنَا) على التدبّر والنظر، ولكن لا ينبغي لأحد أنْ يتكلّم إلّا على مذهب اللغة، أو ما يوافق نقلة أهل العلم))(٥٩).

ولهذا عُدَّ خطوة مهمّة في التطور الذي حصل في كتب **(معاني القرآن وإعرابه)**، إذ جمع فيه بين التفسيرين اللغوي والأثري، فضلًا عن ما بدا له من بيان المعاني اللغوية وأوجه الإعراب(٦٠).

لذلك كانت طريقته في التفسير النحوي أعمق وأوسع من طريقتي الفرّاء والأخفش(٦١).

وكان كثيرًا ما يُطيل الوقوف في توضيح بعض القضايا النحوية، مستعينًا بآراء كبار النحاة، وجعل الإعراب قسيم المعنى في عمله(٦٢).

ومن أبرز ما تميّز به منهجه من ملامح:

- **التفصيل في ذكر المسائل الخلافية:**

إنّ المُلفت للنظر في هذا الكتاب هو كثرة المباحث النحوية، وتعدد آراء النُحاة في المسألة الواحدة، فكان موسوعة للخلاف النحوي القرآني، وكان ذكره لآراء البصريين واضحًا في أغلب ما طرحه من آراء، فقد كان مستفيضًا في ذكر أقوالهم في المسألة الواحدة، يتّضح ذلك من خلال تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة البقرة: الآية: ١٥٣].

فذكر أنّ (((يَا أَيُّهَا) نداء مقدّر مبهم، و(الَّذِينَ) في موضع صفة (أَيُّهَا). هذا مذهب الخليل وسيبويه، وأمّا مذهب الأخفش فـ (**الذين**) صلة لـ (**أي**)، وموضع ٠الذين) رفع بإضمار الذكر

العائد على (أي) كأنّه على مذهب الأخفش، بمنزلة قولك: يا مَنْ الذين، أي: يا منْ هم الذين. و(ها) لازمة لـ (أي) عوض عمّا حذف عنها للإضافة، أو زيادة في التنبيه. و (أي) في غير النداء لا يكون فيها (ها)، ويحذف معها الذكر العائد عليها، تقول: أضرب أيُّهم أفضل، وأيَهُم هو أفضل، تريد: الذي هو أفضل، واجاز المازني أن تكون صفة (أي) نصًا، فأجاز: يا أيُها الرجلُ أقبِل، وهذه الإجازة غير معروفة في كلام العرب، ولم يُجز أحد من النحويين هذا المذهب قبله، ولا تابعه عليه أحدٌ بعده، فهذا مطروح مرذول لمُخالفته كلام العرب والقرآن وسائر الأخبار))[٦٣].

- **العناية بالقراءات القرآنية:**

كانت القراءات القرآنيّة تمثّل مصدرًا من مصادر الاستدلال النحوي عنده، وقد كان موقفه واضحًا منها، فهو يقبل منها ما وافق الشروط التي وضعها النحاة في قبول القراءة، ويرفض ما خالفت شروطهم، ولا يتردد في نسبة الغلط واللحن إلى القارئ، وهذا المنهج لا يتّبعه إلّا إذا كانت القراءة مخالفة لإجماع القُرّاء، وهو مع ذلك كان يلتمس العذر للقارئ بعد تخطئته، فذكر أنّ قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا**﴾ [سورة البقرة: من الآية: ٣٤].

إنّ أبا جعفر المدني قرأها بضمّ (**التاء**)[٦٤]، ومع أنّه وصفه بأنّه أجلُّ أهل المدينة وأهل التثبّت في القراءة، إلّا أنّه نسب إليه الغلط في هذه القراءة، والحجّة في ذلك أنّ (**الْمَلِئِكَةِ**)، في موضع خفض فلا يجوز أن يرفع المخفوض، ثمّ وجّه القراءة على أنّه شبه تاء التأنيث بكسر ألف الوصل، إنّك إذا ابتدأت قلت: (**اسْجُدُوا**)، وليس ينبغي أن يُقرأ القرآن بتوهّم غير الصواب[٦٥].

- **الترجيح بين القراءات:**

فبعد أن ذكر قراءة ابن عبّاس والحسن البصري (رضي الله عنهم) لقوله تعالى: ﴿**وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ**﴾ [سورة البقرة: من الآية: ١٠٢]، بكسر اللام في

(الملكين)[٦٦]، نصّ على أنّ قراءة (فتح اللام) أثبت في الرواية والتفسير جميعًا، والمعنى: يعلّمون الناس السحر، ويعلّمون ما أنزل على الملكين[٦٧].

- **تفسير القرآن بكلام العرب:**

أي أن يُفسّر القرآن بكلام العرب، وهو سمة بارزة في مصنّفه، وكان يقيس النصّ القرآني عليه، فذكر أنّ **(إِلْحَافًا)** في قوله تعالى: ﴿**لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا**﴾ [سورة البقرة: من الآية: ٢٣٣]، وقعت في سياق بأسلوب يُراد به النفي، أي نفي السؤال، ونصّ على أنّ هذا من أساليب العرب في كلامها، ويكون المعنى ـ على هذا ـ عنده: ليس منهم سؤال، فكيف يكون منهم (إلحاف)، ولمعنى هذا المعنى يقول أمرؤ القيس[٦٨]:

على لاحبٍ لا يُهتدى بمَنارهِ إذا سافه العَوْدُ النباطيّ جَرجَرا

لمعنى: ليس به منار يُهتدى بها، وكذلك ليس من هؤلاء سؤال فيقع فيه إلحاف[٦٩].

والخلاصة أنّ هذا الكتاب موسوعة شاملة، جمع فيه مؤلّفه بين المعاني والإعراب، وكان المذهب البصريّ حاضرًا في أغلب طروحاته، ولُغات العرب تمثّل دعامة من دعامات الاستدلال من عنده، وأودع فيه مؤلّفه عصارة الفكر النحوي البصري، ومسائل الخلاف النحوي فيه واضحة، والميول إلى ترجيح الرأي البصري مسألة لا تقبل النقاش، فضلًا عن أنّ هذا الكتاب يُعدّ موسوعة للقراءات المتواترة والشاذّة، وكان يفاضل بينها، وقد يردّ بعضها، والضابط عنده في القبول والرد هي الشروط التي وضعها النحاة في قبول القراءة.

خامسًا: (إعراب القرآن) لأبي جعفر، أحمد بن محمد النحّاس (ت٣٣٨هـ):

يقوم منهج المؤلّف فيه على الربط بين المعنى والإعراب، وهو دليل على سعة اطّلاعه على مذاهب النحاة السابقين، والذي يطغى على كتابه لا شكّ هو الجانب الإعرابي، وهذا بيّنٌ من خلال عنوان مؤلّفه، وواضح من خلال قوله في مقدّمته: ((هذا كتاب أذكر فيه إن شاء الله إعراب القرآن، والقراءات التي تحتاج أن يُبيّن إعرابها، والعِلل فيها، ولا أُخليه من اختلاف النحويين، وما يحتاج إليه من المعاني، وما أجازه بعضُهم، ومنعه بعضهم، أو زيادات في المعاني، وشرح لها، ومن الجموع واللغات، وسوق كلّ لغة إلى أصحابها، ولعلّه يمدّ الشيء

غير متّسِع فيتوهّم متصفّحه أنّ ذلك لإغفال، وإنّما هو لأنّ له موضعًا غير ذلك. ومذهبنا الإيجاز والمجيء بالنكتة في موضعها من غير اطالة، وقصدنا في هذا الكتاب الإعراب وما شاكله))[٧٠].

وهذا النصّ واضح في تحديد ملامح منهج النحّاس في كتابه، ويمكن أن نجملها بالأمور الآتية:

- إنّه لم يكن مقتصرًا على إعراب القرآن فحسب، وإنّما كان يُعرب ما ورد في ألفاظه من قراءات؛ لأنّه يرى أنّها بحاجة إلى تبيان إعرابها وذكر عِللها.
- التفصيل في ذكر خلافات النحويين حول التركيب الشريف، شريطة أن يحتاج المعنى إلى ذكر الخلاف.
- شرح المعاني التي تُساعد على فهم النصّ.
- بيان لغات العرب ونسبة كلّ لغة إلى أصحابها.
- الإيجاز، وهذا لا يعني أن يتوهّم القارئ بأنّ هذا إخلال بالنصّ، لكن الغرض من هذا الإيجاز ذكر النكتة في موضعها من غير إطالة.

ومنهجه في التعامل مع السورة المباركة بشكل خاص، والقرآن الكريم بشكل عام مُبيّن في المقدمة بشكلٍ لا يحتاج إلى مزيد من التفصيل، ومن أمثلة ملاح منهجه:

- **عنايته بالقراءات، وأوجه الإعراب:**

من ذلك بيّن أوجه القراءات في قوله تعالى: ﴿**فِيهِ هُدًى**﴾ [سورة البقرة: من الآية: ٢]، وما يحتمله كلّ وجهٍ منها من معانٍ وقراءات، فذكر أنّ **(الهاء)** في قوله **(فيه)** تحتمل خمسة أوجه: ((فيهِ هُدًى الهاء في موضع حفض بـ **(في)**، وفي الهاء خمسة أوجه أجودها **(فيه هدى)**[٧١]، ويليه فيهِ هُدًى بضمّ الهاء بغير واو، وهي قراءة الزهري[٧٢]، ...، ويليه فيهي هُدًى بإثبات الياء، وهي قراءة ابن كثير[٧٣]، ويجوز فيهو هُدًى بالواو[٧٤]، ويجوز فيهِ هدًى مُدغمًا، أي: **(فيهّدًى)**[٧٥]، والأصل **(فيهو هُدًى)** الاسم الهاء وزيدت الواو،...؛ لأنّ الهاء خفيّة فقويت بحرف متباعد منها وتبدّل منها ياء؛ لأنّ قبلها ياء أو يحذف لاجتماع الواو والياء، ...، ويدغم

لاجتماع هاءين، وليس يجيد؛ لأنّ حروف الحلق ليست أصلًا بالإدغام ويجتمع الساكنان،...، وفي **(هدى)** ستّة أوجه: تكون في موضع رفع خبرًا عن لك، وعلى إضمار مبتدأ ، أو على أن تكون خبرًا بعد خبرٍ، وعلى أن تكون رفعًا بالابتداء، قال أبو اسحاق[٧٦]: يكون المعنى: فيه هدى لا ريب. فهذه أربعة أوجهٍ في الرفع، ويكون على وجهٍ خامسٍ وهو أن يكون على موضع لا ريب فيه. أي: حقّ هدى، أو يكون نصبًا على الحال، أو يكون حالًا من الكتاب، أو تكون حالًا من الهاء))[٧٧].

ولعلّ في هذا النصّ وضوحًا كافيًا لبيان منهجه في حصر القراءات في اللغة الواحدة، وعدم تخطئة واحدة منها، وبيان ما تحتمله اللفظة القرآنيّة من الأوجه الإعرابية مع نسبة الوجه الإعرابي إلى القائل به، فهو بحق موسوعة للقراءات القرآنيّة وتعدد الأوجه الإعرابيّة، فضلًا عن أنّه يُعدّ موسوعة في الخلاف النحوي.

- **الاعتداد بلُغات العرب:**

إنّ النحّاس حينما يعرض مفردات القرآن الكريم ويبيّن معانيها، ويُشير في مواطن كثيرة إلى لغات العرب، ولم يُفاضل بينها، والذي يظهر من كلامه أنّ هذه اللغات كلّها حجّة، قال في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا**﴾ [سورة البقرة: من الآية:٣٥]: ((حيث مبنيّة على الضمّ لأنّها خالفت أخواتها من الظروف في أنّها لا تُضاف فاشبهت مثل قبل وبعد إذا أفردتا، ...، أَنّ من العرب من يفتحها على كل حال، ...، والضم لُغة قيس وكنانة، والفتح لغة بني تميم، ...، وبنو أسد يخفضونها في موضع الخفض، وينصبونها في موضع النصب، ...، ويَضمُّ ويُفتحُ، ويُقال: حوث))[٧٨].

- **الاعتراض على النُحاة:**

إنّ اعتراضاته على النُحاة سمة واضحة في مصنّفه، فنقل عن الفرّاء في بيان إعراب قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾ [سورة البقرة: الآية: ٥٣]، أنّ **(آتينا)** بمعنى **(أعطينا)**، و**(موسى الكتاب)** مفعولان، **(الفرقان)** عطف على **(الكتاب)**، ويكون معنى: **(آتينا**

الكتاب) أي: التوراة، ومحمد (ﷺ) الفرقان[٧٩]، ثمّ خطّأه بقوله: ((هذا خطأ في الإعراب، والمعنى، أمّا الإعراب فإنّ المعطوف على الشيء مثله، وعلى هذا القول يكون المعطوف على الشيء خلافه، وأمّا المعنى فقد قال فيه (ﷻ): ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ**﴾ [سورة الأنبياء: من الآية: ٤٨]، وأحسن ما قيلَ في هذا القول ...، فرقانًا بين الحق والباطل الذي علّمه إيّاه))[٨٠].

سادسًا: وأمّا كتابه الآخر الموسوم بـ (معاني القرآن):

فقد وصفه مؤلّفه بأنّه كتابٌ جديدٌ من كتب التفسير، الغرض من تأليفه فهم آيات الكتاب الكريم، وتمحيص الرواية في التفسير، وجمع شواهد اللغة لبيان معاني قراءات القرآن وأحكامه، فهو لا يأتي بالقراءة إلّا عند حاجته إلى تفسير النصّ المبارك، ولا يلجأ إلى الإعراب إلّا خدمةً لهذه المعاني، وإنّ ما يذكره من إعراب لم يكن سوى إشارة منه إلى ذكر الخلاف، أو ذكر القراءات المختلفة[٨١].

ولعلّ هذا الذي صرّح فيه في مقدّمته، يكشف عن طبيعة منهجه في بيان تعامله مع النّص المبارك بشكل لا يحتاج إلى مزيد من الإيضاح، والبيان والأمثلة، ومن ملامح منهجه:

- **تعدد الأوجه الإعرابية:**

وأثر هذا التعدد في تحديد معنى التركيب المبارك، فذكر أنّ **(ما)** في قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِم وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ**﴾ [سورة البقرة: من الآية: ٣٧]، يجوز أن تكون بمعنى **(الذي)**، أو أن تكون زائدة، وان تكون نكرة، والمعنى: أضاءت له فأبصر الذي حوله[٨٢].

- **الترجيح بين القراءات:**

يورد القراءات القرآنية لتبيان المعنى المبارك، ويبيّن وجه كلّ قراءة ومعناها، ولا يتردّد في ترجيح قراءة على أخرى لعلّة ما، يذكرها عند الترجيح، فذكر أنّ **(العمرة)** في قوله تعالى: ﴿**وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ**﴾ [سورة البقرة: من الآية: ١٩١]، قرأها الجمهور بالنصب[٨٣]، والمعنى

على قراءة النصب دلّت على أن تكون فريضة، وقرأها زيد بن ثابت والشعبي بالرفع[٨٤]، والمعنى على هذا تكون (**العمرة**) تطوعًا. والراجح عنده قراءة النصب، و(**العمرة**) على هذا تكون عنده فرضًا؛ لأنّه ينبغي لمن دخل في عمل هو لله أن يتمّه[٨٥].

والخلاصة أنّ كتابه (**إعراب القرآن**) أكثر شمولًا وسعة من المعاني، وإن كان معنونًا بالإعراب، غير أنّه لا يتردد فيه من بيان لغات العرب والقراءات القرآنية، والأوجه الإعرابية المحتملة، وبيان ما يحتمله النص من معانٍ وفق كلّ قراءة. وأمّا (**معانيه**) فكان الهدف الأول من وضعه هو بيان ما أشكل من فهم ما في النص المبارك، وما اكتفى به من إعراب أو لغات أو قراءات، فالهدف منه ليس بيان الصنعة، وإنّما خدمة المعنى القرآني، وتوضيح مكنوناته من خلال اعتماده على رسائل الصنعة النحوية. والله أعلم.

وما ذكرته من مناهج اصحاب المعاني والاعراب يكاد يكون موجزًا، إذ لا أرى فائدة من التفصيل في بيان منهج كل مؤلف وطريقتهُ في البحث في سورة البقرة بشكل خاص، والقرآن الكريم بشكل عام، فقد أُقيمت حول كل كتاب من هذه الكتب بحوث ودراسات أغنتني عن مزيد من التفصيل والبيان، واحصيت منها (خمس عشرة) دراسة، منها: دراسة الباحث (احمد الشايب عرباوي) الموسومة بـ (أصول اللغة والنحو بين الأخفش والفرّاء من خلال كتابيهما معاني القرآن)، ودراسة الباحثة (كواكب محمود حسين) الموسومة بـ (اثر معاني القرآن للأخفش الأوسط في الكشاف للزمخشري دراسة نحوية)، ودراسة الباحثة (هدى صالح محمد) الموسومة بـ (أثر اختلاف الإعراب في توجيه المعنى في كتب معاني القرآن واعرابه) وغيرها من الدراسات.

الخاتمة

بعد هذا العرض الموجز لاتجاهي التوظيف النحوي في سورة البقرة (النحوي والمعاني)، توصلت إلى نتائج منها:

١) إنّ سورة البقرة من أكثر السور التي حظيت بعناية النحاة وأصحاب المعاني، فقد اعتمدوا على تراكيبها كثيرًا في استنباط القاعدة النحوية وتقدير أصولها.

٢) إنّ النُحاة وفي طليعتهم سيبويه، جعلوا الاستدلال بالقرآن، الكريم بالمرتبة الأولى، ثمّ يعضّدون صحّة القاعدة النحوية بكلام العرب نظمًا ونثرًا، كأنّهم يشيرون إلى أنّ كلام الله لا يخرج عن طبيعة العرب في كلامهم، وأنّه جاء على سننهم في التركيب.

٣) إنّ كتب معاني القرآن كانت اللبنة الأولى لتأسيس كتب التفسير الجامعة، التي انطلقت أفكارها مما توصّل إليه أصحاب المعاني من وجوه ودلالات محتملة للنص.

٤) إنّ كتب الإعراب ركّزت على الأوجه المحتملة لكلّ مفردة، وما تحتمله المفردة من معنى يقدّره الوجه الإعرابي، فكانت مباحث الإعراب منطلقًا لمن وجّه القراءات القرآنية، ولمن كتب في إعجاز القرآن أيضًا.

٥) عوّل أصحاب النحو والمعاني والإعراب على القراءات القرآنية، وكانت مباحثهم من وجوه القراءات، واستنبطوا الظاهرة النحوية من القراءات المتواترة والشاذة.

Abstract

Aspects of Grammatical Utilization and & Grammarians Methods in Surat Al Baqarah

Keywords**: Aspect, Grammatical Utilization, Surat Al Baqarah**

A Ph. D. dissertation extracted research

Ph. D. Candidate **Supervisor**

Ayah Ihsan Sadiq **Prof. Hussein Ibrahim Mubarak (Ph.D.)**

There is no doubt that the main purpose of controlling the rules of the Arabic language and showing its origins is to serve the Glorious Quran and to preserve it from mistakes. The authorship began in the language early. Since the non- Arabs entered Islam, mispronunciation began to appear on their tongues, and scientists rushed to the desert to collect what is correct from the tongue of the Arabs and recorded in the language. It is the scientists who are concerned with the control of the structures of Arabic, and the collection of structures and uses in blogs which have been so far the first pillar on which the students of Arabic in the control of the assets of Arabic and its rules.

Since the protection of the Qur'an from mispronunciation is the main purpose (as mentioned above), the scholars in the composition of the grammatical structures are divided into four directions. The first direction took from the Quran the first

evidence in devising the grammatical rule, the second: focused on the faces of the meanings of the Quran and the grammatical states of the words. The third: interpreted the Quran verse by verse, and detailed in all the contents of the verse of the provisions of the linguistic and grammatical, and readings, and the grammatical faces. Fourthly, its companions were meant to direct frequent and anomalous Qur'anic readings in accordance with the rules and rules of the grammarians. There is no doubt that Surat Al-Baqarah is the most surah of the Qur'an, which was given by the owners of these trends with great care.

الإحالات:

(١) ينظر: المعجم المفصّل في شواهد اللغة العربية: ١/١١-١٢.

(٢) ينظر: الشاهد وأصول النحو: ٢٩.

(٣) ينظر: كتاب سيبويه: ١/٢٤٧، واللمع في العربية: ٩٦.

(٤) ينظر: كتاب سيبويه: ١/٣٨٦، والخصائص: ٢/٤٧٥.

(٥) ينظر: الخاطريات: ٤١.

(٦) ينظر: كتاب سيبويه: ٣/١٤٨، والمقتضب: ٧/١٨٩، وشرح كتاب سيبويه (السيرافي): ١/٢٨٤.

(٧) ينظر: كتاب سيبويه: ٣/١٨٩، وشرح كتاب سيبويه (السيرافي): ٣/٤٤٦.

(٨) ينظر: المقتضب: ٢/٦٧.

(٩) ينظر: كتاب سيبويه: ٣/١٥٣-١٥٤، والمقتضب: ٤/٣٦١، والاصول في النحو: ١/٢٦٦، وشرح كتاب سيبويه (السيرافي): ٣/٣٣٥.

(١٠) ينظر: كتاب سيبويه: ٣/٢٣٣، والمقتضب: ٣/٣٣١.

(١١) ينظر: المقتضب: ٣/٢٣٤، والأصول في النحو: ١/٢٤٧.

(١٢) ينظر: تعريف الدارسين بمنهاج المفسّرين: ٣٨-٣٩.

(١٣) ينظر: النحو وكتب التفسير: ١/٤٦٩.

(١٤) ينظر: معاني القرآن (مقدمة المحقق): ٢٠.

(١٥) ينظر: معاني القرآن: ٨٠.

(١٦) ينظر: مختصر في شواذ القراءات: ١٨، والبحر المحيط: ٢/١٤٠.

(١٧) ينظر: معاني القرآن: ٨٣.

(١٨) ينظر: المصدر نفسه: ٨١-٨٢.

(١٩) البيت مجهول القائل. ينظر: معاني القرآن: ٨٧-٨٨، ومعاني القرآن (الفرّاء): ١/١٣٤.

(٢٠) ينظر: معاني القرآن: ٨٧-٨٨.

([٢١]) ينظر: المنصوبات في كتاب معاني القرآن للفرّاء (رسالة): ٢٨.
([٢٢]) ينظر: النحو وكتب التفسير: ١٨٢/١.
([٢٣]) معاني القرآن: ٣٤/١.
([٢٤]) المصدر نفسه: ٥٢/١.
([٢٥]) المصدر نفسه: ٥٥/١-٥٦.
([٢٦]) ينظر: معاني القرآن: ٨٤/١.
([٢٧]) ينظر: معاني القرآن بين الفرّاء والأخفش، دراسة لغوية موازنة (أطروحة): ٦٨.
([٢٨]) وهي قراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع. ينظر: شواذ القراءات: ٨٨.
([٢٩]) ينظر: البحر المحيط: ٣٤٥/٢.
([٣٠]) معاني القرآن: ١٢٤/١.
([٣١]) المصدر نفسه: ١٥٧/١.
([٣٢]) ينظر: أثر اختلاف الإعراب في توجيه المعنى في كتب معاني القرآن وإعرابه (أطروحة): ٢٣.
([٣٣]) ينظر: معاني القرآن: ١٤٣/١.
([٣٤]) ينظر: أثر اختلاف الإعراب في توجيه المعنى في كتب معاني القرآن وإعرابه (أطروحة): ٢٢.
([٣٥]) ينظر: معاني القرآن: ٦١/١.
([٣٦]) ينظر: المصدر نفسه: ٦٥/١.
([٣٧]) ينظر: المصدر نفسه: ٦٤/١.
([٣٨]) ينظر: المصدر نفسه: ٦٥/١.
([٣٩]) ينظر: المصدر نفسه: ١٢٦/١.
([٤٠]) ينظر: المصدر نفسه: ٧٦/١.
([٤١]) ينظر: المصدر نفسه: ٨١/١.
([٤٢]) ينظر: المصدر نفسه: ٨٧/١.
([٤٣])ينظر: المصدر نفسه: ٩٧/١.
([٤٤]) ينظر: المصدر نفسه: ١٠١/١.
([٤٥]) ينظر: المصدر نفسه: ١٠٥/١.
([٤٦]) ينظر: المصدر نفسه: ١١٦/١.
([٤٧]) ينظر: معاني القرآن: ٦٤/١.
([٤٨]) ينظر: المصدر نفسه: ٦٥/١.
([٤٩]) ينظر: المصدر نفسه: ٦٥/١.
([٥٠]) ينظر: المصدر نفسه: ١٢٦/١-١٢٧.

([٥١]) التمر قبل رطبه. ينظر: لسان العرب مادة (رطب): ٤٢٠/١.

([٥٢]) ينظر: الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها: ٤٨٦.

([٥٣]) معاني القرآن: ١١١/١-١١٢.

([٥٤]) البيت لعمرو بن معدي كرب. ديوانه: ١٧٨.

([٥٥]) ينظر: معاني القرآن: ١٢٣/١-١٢٤.

([٥٦]) ينظر: المصدر نفسه: ١٤٢/١، ومعاني القرآن بين الفرّاء والأخفش دراسة لغوية موازنة (أطروحة): ٢١٤.

([٥٧]) ينظر: معاني القرآن بين الفرّاء والأخفش ـ دراسة لغوية موازنة (أطروحة): ٢١٣-٢١٥.

([٥٨]) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (مقدمة المؤلف): ٣٩/١.

([٥٩]) المصدر نفسه: ١٨٥/١.

([٦٠]) ينظر: النحو وكتب التفسير: ٣٠٣/١-٣٠٤.

([٦١]) ينظر: النقد اللغوي في كتاب معاني القرآن وإعرابه للزجّاج (رسالة): ٩٠.

([٦٢]) ينظر: أثر اختلاف الإعراب في توجيه المعنى في كتب معاني القرآن وإعرابه (أطروحة): ٢٣.

([٦٣]) معاني القرآن وإعرابه: ٢٢٨/١-٢٢٩.

([٦٤]) ينظر: المحتسب: ١٣/١.

([٦٥]) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ١١١/١-١١٢.

([٦٦]) ينظر: المحتسب: ١٠٠/١.

([٦٧]) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ١٨٣/١.

([٦٨]) ديوانه: ٩٦.

([٦٩]) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٣٥٧/١.

([٧٠]) إعراب القرآن (مقدّمة المؤلّف): ١٣/١.

([٧١]) السبعة في القراءات: ١٣٠.

([٧٢]) ينظر: مختصر شواذ القراءات: ١٠.

([٧٣]) ينظر: النشر في القراءات العشر: ٩٠.

([٧٤]) ينظر: شواذ القراءات: ٤٧.

([٧٥]) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٦٠/١، والبحر المحيط: ٦٤/١.

([٧٦]) معاني القرآن وإعرابه: ٧٠/١.

([٧٧]) إعراب القرآن: ٢٤/١-٢٥.

([٧٨]) إعراب القرآن: ٤٦/١.

([٧٩]) ينظر: معاني القرآن: ٣٧/١.

(٨٠) المصدر نفسه: ٥٣/١.

(٨١) ينظر: معاني القرآن (مقدمة المؤلف): ٥/١، وأثر اختلاف الإعراب في توجيه المعنى في كتب معاني القرآن وإعرابه (أطروحة): ٢٤.

(٨٢) ينظر: معاني القرآن: ١٠٢/١-١٠٣.

(٨٣) ينظر: الكامل في القراءات العشر والأربعين: ٥١، والجامع لأحكام القرآن: ٢ /٣٦٩.

(٨٤) ينظر: مختصر شواذ القراءات: ١٩.

(٨٥) ينظر: معاني القرآن: ١١٤/١.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

أولًا: الكتب المطبوعة.

- **الأصول في النحو:** أبو بكر بن السرّاج (ت ٣١٦هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، ط٣، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
- **البحر المحيط في التفسير: أبو حيّان الأندلسي**، تحقيق: محمد صدقي، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.
- **تعريف الدارسين بمنهاج المفسّرين:** صلاح عبد الفتّاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط٣، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٩م.
- **الجامع لأحكام القرآن:** أبو عبد الله القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم الطفيش، دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
- **الخاطريات:** أبو الفتح عثمان بن جنّي (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الاسلامي، لبنان، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- **الخصائص:** أبو الفتح عثمان بن جنّي، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤، (د.ت).
- **ديوان أُمرئ القيس**، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

- **السبعة في القراءات:** أبو بكر بن مجاهد (ت٣٢٤هـ)، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- **الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه:** د. خديجة الحديثي، مطبوعات جامعة الكويت، (د.ط)، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
- **شرح ديوان عمرو بن معدي كرب،** جمعه ونسّقه: مُطاع الطرابشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ط٢، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- **شرح كتاب سيبويه:** ابو سعيد السيرافي، تحقيق: أحمد حسن مهدي، وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
- **شواذ القراءات:** شمس الدين الكرماني (ت ٥٣٥هـ)، تحقيق: د. شمران العجلي، مؤسسة البلاغ، لبنان، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
- **الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها:** يوسف بن علي المغربي (ت٤٦٥هـ)، تحقيق: جمال الدين بن رفاعي، مؤسسة سما، ط٢، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
- **كتاب سيبويه:** سيبويه (ت١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- **لسان العرب:** ابن منظور (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- **اللمع في العربية:** أبو الفتح عثمان بن جنّي، تحقيق: د. فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت، (د.ط)، (د.ت).
- **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها:** أبو الفتح عثمان بن جني، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، (د.ط)، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
- **مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع:** ابن خالويه، مكتبة المتنبي، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

- **معاني القرآن وإعرابه:** أبو اسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- **معاني القرآن:** أبو الحسن الأخفش (ت٢١٥هـ)، تحقيق: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
- **معاني القرآن:** أبو جعفر النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة ام القرى، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- **معاني القرآن:** أبو زكريا الفرّاء (ت٢٠٧هـ)، تحقيق: أمجد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح اسماعيل شبلي، دار المصرية، ط١، (د.ت).
- **معاني القرآن:** علي بن حمزة الكسائي (ت ١٨٩هـ)، أعاد بناءه وقدّم له: د. عيسى شحاتة عيسى، دار قباء، القاهرة، (د.ط)، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
- **المعجم المفصّل في شواهد اللغة العربية:** إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
- **المقتضب:** أبو العبّاس المبرّد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
- **النحو وكتب التفسير:** إبراهيم عبد الله رفيدة، الدار الجماهيرية، طرابلس، (د.ط)، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
- **النشر في القراءات العشر:** ابن الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، (د.ط)، (د.ت).

ثانيًا: الرسائل والأطاريح:

- **أثر اختلاف الإعراب في توجيه المعنى في كتب معاني القرآن وإعرابه:** هدى صالح محمد آل ياسين، (أطروحة دكتوراه) بإشراف: د. نعمة رحيم العزاوي، كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

- **معاني القرآن بين الفرّاء والأخفش (دراسة لغوية موازنة):** نصيف جاسم محمد، (أطروحة دكتوراه)، بإشراف: د. محمد صالح محمد، كلية التربية (ابن رشد)، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- **المنصوبات في كتاب معاني القرآن للفرّاء (١٤٤-٢٠٧هـ):** فاطمة سويلم، (رسالة ماجستير) بإشراف: د. سعد بن محمد القرني، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، ١٤٣٥هـ.
- **النقد اللغوي في كتاب معاني القرآن وإعرابه للزجّاج:** حافظ رشيد ظفير (رسالة ماجستير)، **بإشراف: أ. د.** مكّي نومان مظلوم، كلية التربية للعلوم الإنسانيّة، جامعة ديالى، ٢٠١٢م.